اللغة العربية وأهميتها في إعداد المعلم قضايا وإشكالات تتعلق بتحديات العصر[*]

د. فاروق مواسي

تمهيد

اللغة كائن حي خاضع للتطور باستمرار، وذلك بهدف تلبية الاحتياجات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية وتجلياتها المعرفية والعلمية.

وينجم عن الاستعمال اللغوي عبر العصور تغيرات في التنظيم اللغوي، وثمة ضرورة مستجدة في توليد الألفاظ والمصطلحات التي تتفق والموضوع المتناول. إن المعلم في دور المعلمين هو ركيزة العملية التربوية، وهو يعي أن النماء الكامل لشخصيتنا التربوية له علاقة وطيدة باللغة – هذه اللغة التي هي عنوان حضارتنا نؤثر فيها وتؤثر فينا.

إن التربية لها علاقة مباشرة بتكنولوجيا المعلومات، وذلك لكونها وسيلة لاستيعاب العالم من حولنا، ونحن نجد أنفسنا أحوج ما نكون إلى إيجاد معادلة التوافق بين التكنولوجيا واللغة العربية. والتربية سواء بصفتها متغيرا تابعا للتحول الاجتماعي أو محركا أوليا له هي بحكم دورها وطبيعتها أكثر جوانب المجتمع عرضة للتغيير، وبناء على ذلك فالمتغيرات الحادة التي ينطوي عليها عصر المعلومات ستحدث بالضرورة هزة عنيفة في منظومة التربية، وقد أصبح مفهوم التنمية مرادفا للتربية، حيث يكون للغة دورها الحاسم، بل ستكون اللغة عاملا اقتصاديا مقررا، ولكي يتضح لنا تعاظم دور اللغة في مجال التربية سأقف على بعض التوجهات التربوية، وكيف سيكون المغزى أو الانعكاس اللغوي مرادفا لكل توجه.

فالتوجه التربوي الذي يعمد إلى تضخم حجم المادة التعليمية، وأن تكون هناك مخازن المعلومات الوفيرة يستلزم أهمية تعريب العلوم، ولا بد إزاء ذلك من نظم الترجمة الآلية ومن

---

[*] ألقيت هذه الدراسة محاضرة على أساتذة الكلية، وقد جاءت تلخيصا لقراءات وإفادة من بحوث في هذا المجال.

القواميس الإلكترونية، وتبعا لذلك ستتفجر كثير من القضايا اللغوية، فلا بد من التقييس *standardization* حتى تشترك اللغة في ثنائيات الترجمة.

التوجه التربوي – بناء أو جعل الفرد متميزا أو له خصوصية في مجموعته يستلزم أن تكون هناك لغة خاصة وقادرة على التواصل مع الآخر، وعندها سيكون المجال مفسوحا أمام دمقرطة اللغة حتى تصبح ملك الجميع.

والتوجه التربوي – بناء الشخصية المستقلة وإنضاج الصغار يستلزم تزويد الصغار بعدة لغوية لتنمية قدراتهم الإبداعية، ولا يتم ذلك إلا بكشف طاقة اللغة الإبداعية بكونها صانعة العقل المبدع وصنيعته.

والتوجه التربوي الذي يدعو إلى التعليم الذاتي والتخلي عن التلقين يستلزم اللجوء إلى البرمجيات، وعندها سيلجأ إلى أنساق الرموز لقراءة النصوص آليا، ولمعرفة الاختصارات، ولكي تكون اللغة مختزلة مقتصدة.

وسيلي هذه الدراسة مناقشة ضمن المجموعات حول السبل التي من شأنها أن تأخذ بنصرة اللغة العربية في كليات التربية حتى تتفق وروح العصر، وحتى تظل لغة القرآن بيانا للناس وهدى، وعنوانا لحضارتهم.

* * *

إن للغة أهميتها من حيث دورها في ربط أواصر الكيان المجتمعي، وتشكيل وعي الجماعة الناطقة بها، وكذلك بكونها مرآة لمعرفة ذواتنا، وهي أهم ما يميز طبيعتنا البشرية وأكثر الوسائل حسما في فهم هذه الطبيعة وسبر أغوارها. إنها وسيلة للتعبير الذاتي، ووسيلة للاتصال مع الآخر، كما أنها وسيلة لامتلاك المعرفة.

اللغة تطور مستمر لا يمكن أن تحصر في أسر ماضوي فقط، وهذا التطور يتم في إطار الزمان وإطار المكان، ففي الزمان تتطور اللغة عبر صيرورتها التاريخية، وتنتقل من جيل إلى جيل محافظة بصورة أساسية على صلتها الوثيقة بالمجتمع الذي ينطق بها ويستخدمها بحيث تجاريه في تطوره، وبحيث تماشي حاجاته المتزايدة والمتغيرة. وفي إطار المكان فإن اللغة تتنوع ضمن أشكال محكية من منطقة إلى أخرى، ومتفاوتة من مجتمع إلى آخر.

تنجم عن الاستخدام اللغوي عبر العصور تغيرات في التنظيم اللغوي، مما يعطي انطباعا أن الذهن الإنساني غير راض تماما عن واقع اللغة التي يرثها، لذا أخذ يحور ويغير، ومن هنا تتطور اللغة كل لحظة تطورا لا يكاد يبين لأنه مستمر ومتنقل.

يرتبط التطور الحاصل في اللغة بعاملين متناقضين، فمن جهة هناك التطور باتجاه تحسين الإنتاج اللغوي، ومن جهة أخرى هناك ضرورة للحفاظ على بنية اللغة، ورغم ذلك فإن هناك تطورا بطيئا ينشأ من هذه الجدلية. وهذا التطور هو تنام متزايد لعديد من الخصائص.

إن العربية الاتباعية – الكلاسيكية، والعامية، والعربية المتوسطة (لغة المثقفين) هي التي تتراوح في استخداماتنا المعاصرة، فالأولى هي الأخلاق المعيارية التي باتت تستصعب دخولها في طابع العصر السلوكي، وفي مدى كشفه عن احتياجات هذا العصر ومن ثم تلبيتها، على حين أن العامية في مستوياتها الشعبية فيها تلقائية تكمن فيها البنية الفكرية والحضارية والتنوعات البيئية.

ولا شك أن هناك ازدواجا لغويا (*diglossia*) متعدد المستويات وازدواجا كذلك بين المنطوق والمكتوب، فالمكتوب ينتمي بنظمه إلى القديم، أما المنطوق فينتمي بحيويته إلى الحاضر.

وقد كانت هناك محاولات توفيقية كثيرة، وكانت الصحافة والإعلام على مختلف صوره ومستوياته سببا في التيسير، كما كانت الصدمة الحضارية الأولى منذ احتلال نابليون مصر سببا في اعتمادنا اليوم لغة اصطلح عليها فيما بعد "لغة المثقفين". وظلت هذه المحاولات تتواصل على استحياء في مواجهتها لدراسة علاقة هذه اللغة بتكنولوجيا المعلومات. من هنا تأتي أزمتنا اللغوية تنظيراً ومعجما ومصطلحا سواء في الاستخدام أو التوثيق، ولا شك أن أزمتنا سوف تتفاقم كلما ضغطت علينا المطالب الملحة في هذا العصر، وكلما اتسعت الفجوة اللغوية التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدم كناتج فرعي لاتساع الفجوة التكنولوجية المعلوماتية.

ولكن المشكلة هي عامة، إذا أن التقاعس عن التصدي لأزمة العربية ينذر بانزواء اللغة حيث سيعوزها العديد من عناصر البنية التحتية التي تؤهلها لعضوية "نادي تعدد اللغات العالمي" ويمنحها القدرة، وقدرة ثقافتها بالتالي، على الاحتكاك اللغوي الذي تشير جميع الدلائل إلى تزايد حدته واتساع نطاقه.

إن الأهمية البالغة لتكنولوجيا المعلومات تكمن في كونها وسيلة لاستيعاب العالم من حولنا. وقد تلاحمت اللغة الإنجليزية مثلا مع تكنولوجيا، المعلومات وأصبحت هي المسيطرة على شاشات الكمبيوتر في جميع أرجاء العالم.

من هناك فإن قدرة مجتمعاتنا العربية على اللحاق بركب هذه الثورة المعرفية التكنولوجية تتوقف بصورة أساسية مع نجاحنا في تأهيل هذه اللغة التي نعتز بها لهذه المواجهة الحضارية. فإن سلست لغتنا أصبحت عاملا مؤازرا لفاعليتنا وإبداعنا وتحصين دفاعاتنا من تيارات الغزو الثقافي الكاسحة، وإن جمدت أصبحت حاجزا معتما يفصل بيننا وبين العالم — هذا العالم الذي يعيش عصر الانترنت، وعقد الاجتماعات عن بعد، والتحاور من خلال المقاهي الالكترونية، عصر الإعلام التجاوبي والترجمة الآلية والمعاجم الإلكترونية والوسائط المتعددة والكتب الدينامية، والمكتبات المؤتمتة، وهذه كلها أو بعضها يصطدم بها طالب الكلية، وذلك في مصطلحات غريبة غير مألوفة.

إن للغة العربية دوراً هاما في عملية إعداد المعلم. إنها لغة التدريس لمعظم المواد الدراسية، ومهما تياسرت السبل اللغوية للوصول إلى الهدف التربوي فإن هناك مصطلحات كثيرة لم تعرب، الأمر الذي يفسح المجال لألفاظ أجنبية – ومنها العبرية شئنا أم أبينا – إلى الدخول في أنسجة اللغة ومبانيها.

إن المعلم في دور المعلمين هو ركيزة العملية التربوية، وهو يعي أن النماء الكامل للشخصية التربوية له علاقة وطيدة باللغة — هذه اللغة التي هي عنوان حضارتنا نؤثر فيها وتؤثر فينا.

من هنا، سأتناول علاقة اللغة في عصر المعلومات ببعض الوظائف التربوية الأولية التي تعمد إليها كليات دور المعلمين مبينا وجوه الصعوبة التي تجابه المعلم والطالب معا، ذلك

لأن التربية سواء بصفتها متغيرا تابعا للتحول الاجتماعي أو محركا أوليا له، وبحكم دورها ووظيفتها فهي أكثر جوانب المجتمع عرضة للتغيير، بناء على ذلك فالمتغيرات الحادة التي ينطوي عليها عصر المعلومات ستحدث بالضرورة هزة عنيفة في منظومة التربية: فلسفتها وسياستها ومؤسساتها ومناهجها وأساليبها، وصناعة الرجال بلا شك هي أهم صناعات عصر المعلومات – عصر أصبح فيه مفهوم التنمية مرادفا للتربية، حيث للغة دورها الحاسم، ولكي يتضح لنا تعاظم دور اللغة في مجال التربية سأقف هنا على بعض التوجهات العامة للتربية في عصرنا، مبينا المغزى اللغوي لكل توجه منها.

١- التوجه التربوي: اعتماد تضخم حجم المادة التعليمية.

المغزى اللغوي:

تزداد أهمية تعريب العلوم كلما تضخمت المادة، حيث يساعد ذلك اللغة الأم على زيادة معدل الاستيعاب ورسوخ المفاهيم في ذهن المتعلم. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن اكتساب المتخصصين لمعارفهم وبلغات أجنبية دون رابط مع اللغة الأم يجعل الحوار صعبا، وهو الذي يتناقض في جوهره مع زيادة النزعة الاندماجية لفروع العلوم المختلفة. فالكتاب المطبوع والترجمة الآلية، ونظم استرجاع النصوص وبنوك المصطلحات والقواميس الالكترونية، ولا شك أن هذه الوسائل ترتبط باللغة، والترجمة الآلية ستفجر كثيرا من القضايا اللغوية، وسيكون هناك تساؤل حول التعامل مع المجازر وتعريف مستويات البلاغة، فلا بد إذن من تقييس حتى تقوم اللغة بفعاليتها وإنتاجها في ثنائيات اللغة.

إننا لا نستطيع اليوم أن ننفذ إلى جوهر النص وما يحويه في هذه المعاجم الإلكترونية والأقراص باللجوء إلى المجاز والكناية والاشتراك والأضداد، فالتحديد والتعقيد من أهم ما تنظر إليه البرمجة.

٢- التوجه التربوي: لم يعد هدف التربية خلق عالم من البشر المتماثلين بل صياغة لأنماط بشر متميزون قادرون على التواصل مع الآخر.

المغزى اللغوي:

لكي يتميز الفرد عليه أن يحيل اللغة المشاعة إلى لغة خاصة، وفي نفس الوقت على هذه اللغة أن تظل قادرة على التواصل مع الآخر.

إن ثنائية الذاتية والموضوعية تلك، وهي سمة أساسية لمنظومة اللغة، ستبرز بصورة أوضح في عصر المعلومات، وستجعل من اللغة مجالا خصبا لكثير من القضايا النفسية والاجتماعية، ولا شك أنها ستعيد صياغة العلاقة التي تربط بين المؤسسات اللغوية، وعلى رأسها مجامع اللغة والجماعات الناطقة بها، وعلى ما يبدو لقد حان الوقت لدمقرطة اللغة – إن جاز التعبير – بحيث تصبح ملك الجميع.

٣- **التوجه التربوي: تسعى تربية عصر المعلومات للتخلص من وصمة تطفيل الكبار التي اتسمت بها نظم التربية**، وذلك بأن جعلتهم أقل ثقة بالنفس وأكثر سلبية واعتمادا على الآخر، ووسيلة التربية الحديثة لتحقيق ذلك إنضاج الصغار من خلال تقليل فترة التعليم الأساسي وتنمية قدراتهم الإبداعية والابتكارية، والتقليل من تأثير رقابة الكبار عليهم.

المغزى اللغوي:

لكي نسرع في إنضاج الصغار علينا أن نسرع في إكسابهم لغة الأم، ويتطلب ذلك فهما دقيقا لآليات اكتسابها سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي، وفي نفس الوقت علينا أن نزود صغارنا بعدة لغوية لكي نمكنهم من التصدي لسلطة الكبار الذين تمرسوا بحكم خبرتهم في استخدام اللغة، ولكي ننمي قدرات صغارنا الإبداعية علينا أن نكشف الخاصة الإبداعية للغة ذاتها بكونها صانعة العقل المبدع وصنيعته.

٤- **التوجه التربوي: من التعليم الموجه الذي يسوده طابع التلقين السلبي إلى التعليم الذاتي**، فقد أصبح لزاما على الفرد في عصر المعلومات أن يداوم على التعليم طيلة حياته ، والمهمة الرئيسية للتربية حاليا هي أن تعلم الإنسان كيف يتعلم.

المغزى اللغوي:

لمداومة عملية التعليم المستمر سوف يلجأ المتعلم إلى البرامج التعليمية باستخدام الكمبيوتر وما شابهه من وسائل، وفي غياب المدرس أو عنصر الاتصال الشفاهي المباشر يحتاج الإنسان إلى لغة أكثر نفاذا وإثارة: لغة تستطيع أن تمتزج مع أنساق الرموز الأخرى من أشكال وأصوات لكي تثير المتعلم في خلوته مع آلة تعليمه وتعلمه الجديدة، ولا بد أن تتوفر الوسائل اللغوية التي تتيح للمتعلم أن يتحاور مع هذه الآلة بلغة يسيرة ودقيقة. ولا شك أن عملية التواصل الحيوي الآلي بين الإنسان والآلة ستفجر كثيرا من القضايا اللغوية على المستوى النفسي والفني، علاوة على ذلك فإن تطوير برامج تعليمية باللغة العربية يحتاج إلى كثير من الوسائل البرمجية لمعالجة اللغة العربية آليا، مثل المعالجات الصرفية وقراءة النصوص آليا، ونظم الإعراب الآلي والتشكيل التلقائي.

وتشير جميع الدلائل إلى أن السلع والخدمات المعلوماتية سيكون لها دورها الحاسم في تحديد بنية المجتمع الاقتصادية، وسيكون الفرد مضطراً إلى الاقتصاد في استخدام لغته بحيث تؤدي الهدف وإلى المرمى مباشرة.

إن طلاب الكليات والجامعات لا بد لهم من التعرف على النظريات الحديثة ومن ممارسة المعالجات اللغوية المختلفة لتحسين أدائهم، فمتابعة التجديدات في المناهج والوسائط التعليمية من شأنها أن تقربنا من الإصلاح اللغوي المنشود.

وقد بينت الدراسة أن هناك أزمات وإشكالات قد تخطاها إذا أولاها القائمون على الأمر رعاية كل حسب جهده وطاقته.

ونحن وبعد هذا المهاد النظري لا بد لنا من البحث عن وسائل تبين نصرة اللغة حتى تدعم شخصيتنا القومية والحضارية.

תקציר

הלשון – כל לשון מתפתחת ועוברת שינויים צורניים ומהותיים כדי לענות על הצרכים הנוצרים כתוצאה משינויים כלכליים וחברתיים בכל גוניהם האפסטומולוגיים והמדעיים.

מכאן עברה הלשון דרך הביטויים, המונחים והגרמטיקה את ההתאמות המחייבות.

המורים במכללות הינם מודעים לעובדת הזיקה ההדוקה בין האישיות החינוכית לבין הלשון – מדובר כאן ספציפית על הלשון הערבית.

היות והחינוך מתמודד במישרין עם הטכנולוגיה של המידע אשר קולטת את הסביבה התרבותית בכלל, כמו כן הוא מתמודד עם התמורות החברתיות ולפעמים הוא מניע אותן בהיותו נושא עיקרי לשינוי, על כן מאמר זה בא להציג גישות חינוכיות מסוימות, ובמקביל הוא מעלה את הצורה שבה מתמודדת הלשון הערבית ומגבשת לה קו מנחה, כדי לקדם את הלשון ואת החינוך הערבי כאחד.

المراجع

١. أبو فنة، محمود، "اللغة العربية الواقع والتطلعات"، **فصل المقال**، عدد ١٤/٩/٢٠٠١ص ١٨.

٢. ارنشتاين، روبرت، ايرلست، بول: **عقل جديد لعالم جديد** (ترجمة أحمد مستجير) القاهرة.

٣. أمبابي، فتحي، "تحرير اللغة، تحرير العقل"، وإعادة منهجه، مجلة **قضايا فكرية**، مايو ١٩٩٧، ص٢٧٧.

٤. جرين، جوديت، **التفكير واللغة** (ترجمة عبد الرحيم جبر)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٥. علي، نبيل، "نحو نظرة أشمل للغة"، **قضايا فكرية**، مايو ١٩٩٧، ص٢٩٧.

٦. المبارك، مازن، **نحو وعي لغوي سليم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.